الثابت والمتحول في تطور الدرس اللساني

د. ذكرى يحيى القبيلي أ.د محمد محمد الخربي
جامعة الملك سعود جامعة صنعاء

ملخص:
تقف هذه الورقة على أبرز المحطات اللغوية الفارقة في تاريخ التأليف اللساني، وتتناول المراحل التي مر بها الدرس اللساني، وأبرز الدراسات اللغوية. وتنظر إليه نظرة طولية تعاقبية في العصور المختلفة، من القديم إلى الحديث. بدء بالجهود اللغوية عند الهنود واليونان، ومرورا بنشأة الدراسات اللغوية العربية خدمة للنص الكريم، وتطورها وتوسعها وتنوع مجالاتها نحوا وصرفا ومعجما. وانتهاء بالدرس اللساني الغربي في مراحله المتعددة وأطواره المختلفة قبل مرحلة النضوج في العصر الحديث. والذي تشكلت صورته مع عالم اللسانيات السويسري فريدناند دي سوسير، ومثّل نقطة تحول كبيرة في الدرس اللساني، واسهم في فتح آفاق لنظرات جادة وحديثة في التناول اللغوي والمدارس اللسانية الوصفية. ولعل أهمها اللسانيات البنيوية واللسانيات التوليدية واللسانيات التداولية.

مقدمة:

بلغ الدرس اللغوي مرحلة متطورة في عصرنا الحاضر، خاصة بعد تأسيس علم اللسانيات العامة في أواخر القرن التاسع عشر وبدء القرن العشرين على يد اللساني السويسري (ERDINAND DE SAUSSURE) فرديناند دو سوسير (1857- 1913)[1]، ولاشك أنّ كلّ آرائه وأفكاره في هذا السياق إنما كانت نتيجة طبيعية لنضوج الدرس اللساني، فلم يكن وليد اللحظة، بل هو نتاج لتراكم أعمال لغويي الحضارات البشرية المتتالية، بدءًا بالحضارة الهندية ومروراً بالحضارة الإسلامية وختاماً بالحضارة الغربية الراهنة. ويمكن الحديث عن ثلاثة محاور رئيسية اللسانيات البنيوية واللسانيات التوليدية واللسانيات التداولية. وفي السطور القادمة نقف على هذه الجهود بإيجاز وتكثيف، ونختم بشيء من ملاحظات ولمحات.

الدراسات اللغوية القديمة عند الهنود والإغريق والرومان:

ويعود الدرس اللساني الأقدم توثيقاً إلى العقيدة الهندية التي بدأت بالتأسيس له نحو 2500 ق.م، حينما لاحظ الكهنة أن اللغة التي يستخدمونها في شعائرهم تختلف عن لغة الفيدا (VEDA)، وهي النصوص المقدسة التي صيغت بلغة الهند القديمة، مما دفعهم هذا الوازع الديني إلى التفكير في إعادة إنتاجها، وقد بذلت في هذا النسق جهود عديدة توجت لاحقاً بنجاح الكاهن براهمن بانيني (PANINI) 1000 ق.م[2]في تقنين القواعد النحوية الحاكمة للغة السنسكريتية التي جرى استخدامها بعد ذلك بصفة دائمة في طقوس الهند المقدسة، ويتألف نحوها هذا من ثمانية أجزاء؛ أربعة آلاف قاعدة شعرية مع تحليل صرفي دقيق للغة السنسكريتية، وكذلك وصف جزئي لنظامها الصوتي.

كما نظر الهنود[3] إلى الصرف على أنه دراسة لأقسام الكلام، وبحثوا في اشتقاق الكلمات وتغيرها، أما الصوتيون الهنود فلم يكتفوا بالوصف الدقيق لنطق الأصوات المفردة، بل أنشؤوا مبادئ صحيحة في تصنيف الأصوات، وميزوا بين الأصوات الساكنة والمتحركة ونصف المتحركة، كما درس الهنود مسألة الصلة بين اللفظ والمعنى، وانقسموا إلى اتجاهين: الأول يراها طبيعية وحتمية، والآخر يراها اصطلاحية اعتباطية.

وقد نقل الفرس علوم الهند اللغوية إلى الإغريق[4]الذين أثروا الدرس اللساني ثراءً كبيراً بقي واضحا في كل الحضارات اللاحقة، وكان أبرز علمائهم هو أفلاطون وأرسطو، وقد اهتموا عموماً بدراسة العلاقة بين الأشياء والأفعال وأسمائها

سعياً إلى التعرف على القواعد التي تحكم اللغة، وصاغوا أسس النحو، وأولوا عنايتهم إلى الدرس البلاغي، وقد اعتمدوا في دراستهم لمسائل علم اللغة على الوظائف المعرفية والفلسفية والمنطقية والتربوية والخطابية.

ويمكن تقسيم الدراسات اليونانية حول اللغة إلى فترتين :[5]

- ✓ الفترة الفلسفية (5- 3 ق. م).
- ✓ الفترة الإسكندرانية (3 ق.م – 4م).

ويلاحظ أن جهودهم انصبت على بنية اللغة ونشأتها، وقد انقسم فلاسفة الإغريق في مسألة الصلة بين اللفظ والمعنى إلى فريقين:

- ✓ الأول يمثله أفلاطون (427- 347 ق.م)، ويرى أن الصلة لازمة طبيعية.
- ✓ والآخر يمثله أرسطو (384- 322 ق.م)، ويرى أن هذه الصلة اصطلاحية تواضعية كما وضع علماء اللغة الإسكندرية كلمات اللغة اليونانية في معاجم.

ثم جاء الرومان اللاتينيون،[6]الذي كانوا تلامذة للإغريق، وطبقوا قواعدهم على اللغة اللاتينية، خاصة نظام قواعد الإسكندرية، إذ تؤكد الشواهد التاريخية أن النحو اليوناني قد وصل إلى روما في القرن الثاني قبل الميلاد، أي في العام (167 ق.م).

وقد اهتم اللغويون الرومان بأشكال الخطاب والبلاغة والنحو، وتوسعوا في شروحهم اللغوية، ويعد مارك فارون (116- 27 ق.م) من أشهر النحويين الرومان، وله كتاب ضخم في نحو اللغة اللاتينية سمي بـــ" حول النحو الروماني"، ويقع في خمسة وعشرين مجلداً لم يبق منه سوى ستة فقط.

كما صاغ اللغوي آليوس دوناتوس صيغاً عامة للنحو اللاتيني في القرن الرابع الميلادي، ثم جاء اللغوي بريسكيان الذي شرح هذه القواعد في القرن السادس الميلادي، وبقيت على حالها حتى وقتنا الحاضر.

الدراسات اللغوية عند العرب:

لما قامت الحضارة الإسلامية [7]تشكلت الدراسات اللغوية عند العرب شرعية وتفسيرية خدمة للقرآن الكريم. وكانت البداية مع محاولة ابن عباس جمع الكلمات الغريبة في القرآن وشرحها، وتدوين المصحف بإشراف أبي الأسود الدؤلي.

وفي منتصف القرن الثاني الهجري شرع علماء المسلمين يسجلون الحديث النبوي ويؤلفون في الفقه والتفسير وحين انتهوا من تدوين هذه العلوم اتجهوا إلى غيرها كاللغة والنحو.

وتفنن المسلمون من العرب وغيرهم في صنع معاجم الألفاظ والمعاني على حد سواء، وقد ظهر أول معجم وهو معجم (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي[8] الذي رتبه حسب مخارج حروف الكلمات. وهو أحد أنواع المعاجم اللفظية التي صنفت مفردات اللغة فيها معتمدة على اللفظ؛ فرتبت المفردات وفقا لمخرج الصوت، أو بالنظر في الصوت الأول من الكلمة أو الأخير. وأخرى لم تنظر لأوائل الكلمات أو أواخرها بل جاءت وفق التقاليب المتعددة لأصوات الكلمة.

وهناك معاجم الموضوعات التي رتبت الكلمات حسب المعاني والموضوعات، مثل (فقه اللغة) للثعالبي[9]، و(المخصص) لابن سيده الذي استطاع أن يطبق نظرية الحقول الدلالية، حينما وضع معجمه في القرن الخامس الهجري، ومن قبلهم كتاب (الغريب المصنف) لأبي عبيد القاسم بن سلام الذي يعد أول معجم موضوعي في اللغة العربية.

وسبق ذلك جمع المادة اللغوية من العرب الفصحاء مشافهة، وكان تدوينها دون منهج معين، ثم تلاه مرحلة التصنيف والتبويب فكانت الرسائل اللغوية، التي صنفت المفردات بحسب الموضوعات كالنبات والخيل والمطر، وهذه الرسائل شكلت دون قصد النواة للمعاجم الموضوعية.

وبعد جمع اللغة جاء البحث النحوي بالتنظير والتقعيد واستنباط الأسس التي تحكمها. وظهر كتاب (الكتاب) لسيبويه في منتصف القرن الثاني الهجري، وهو أول مؤلف نحوي. فضلا عن أن يشتمل كثيرا من علوم اللغة العربية، فكان يضم النحو والصرف والبلاغة والأصوات، فهو كتاب في نظام اللغة العربية، ألفه سيبويه ونقل أكثره من أستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي. ثم ألّف المبرد كتابه (المقتضب). وبعدها تم استقلال علم الصرف عن النحو في كتاب (التصريف) لأبي عثمان المازني. وجاء أول تأليف مستقل للمباحث الصوتية في القرن الرابع الهجري، في كتاب (سر صناعة الإعراب) لابن جني، ثم جاء عمل ابن سيناء 428هـ (أسباب حدوث الحروف) الذي خص أصوات اللغة العربية بفصل مستقل.

ويمكننا القول إن الدرس اللساني قد شهد تطوراً كبيراً مع العرب المسلمين، فقد قدموا أفكاراً في غاية الدقة والنضج حول قضايا تعد من أفضل ما وسم الفكر اللساني في القرن العشرين، مثل جهودهم في بيان الأنظمة العلامية وتعريفات اللغة وعلاقاتها بنظام الكتابة، وبحوثهم في أصل اللغة البشرية، وبنية الكلام والتركيب والدلالة والأصوات، وعلاقة اللفظ بالمعنى وكيفية حدوث الشعرية في الكلام، وغيرها من الرؤى العلمية التي ظلت نسغاً دائماً ينهل منه علماء اللغة الغربيون حتى القرن التاسع عشر وربما ما بعده.[10]

وقد أصبح معرفا لدى الدارسين أن هاتين الحضارتين -أي اليونانية والإسلامية- قد أثرتا تأثيراً كبيراً في الفكر اللغوي الحديث، وكان لهما الفضل في بيان علم اللغة الحديث وتطوره الكمي والكيفي في الحقبة الراهنة.

ولا جرم في ذلك، لأن العلم وراثة وتراكم بين البشر، وما اللاحق إلا حلقة ضمن سلسلة، ولا يستطيع اللاحق أن يوجد الأفضل في مجال اللغة وعلومها إلا بالاعتماد أولاً على جهود سابقيه ثم بمواكبة أفكار معاصريه.

وهذا يشرح جيداً ذلك التطور الكبير الذي عرفه الدرس اللساني على يد علماء اللغة في الغرب خاصة في القرون الثلاثة الأخيرة، أي القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر،[11].

ومن الملاحظ أن فكرة منطقية اللغة قد سادت مدرسة بوريال الفرنسية في القرن السابع عشر[12]، واعتبرت أن النماذج النحوية متطابقة مع متطلبات المنطق، وأن هناك نظرية نحوية جامعة تناسب جوهر اللغات جميعاً، كان الاهتمام منصباً على اللغة المكتوبة ، ولكن الإنكليز اهتموا في القرن الثامن عشر باللغة المنطوقة[13]، فكان هذا الأمر خروجاً إيجابيا على ما كان سائداً بين علماء اللغة القدامى.

الدراسات المقارنة:

بدأ التحول يتضح تدريجياً من عناية باللغات المكتوبة والنصوص الممثلة لها إلى اهتمام بجوهر العملية اللغوية، ومنه البحث في أصل اللغة بتوظيف معطيات علمية جديدة تقوم على المستوى الصوتي المنطوق.

وهو ما تجلى بقوة في الدراسات اللغوية المقارنة مع اكتشاف وليام جونز سنة 1786م العلاقة الوثيقة بين اللغة السنسكريتية واللغات الأوروبية (اللاتينية والإغريقية)[14]، فتوصل إلى فكرة أن هذه اللغات ترجع إلى أصل واحد سماه بالأصل الهندو- أوروبي، مما مهد هذا الأمر لنشأة علم اللسانيات المقارنة موضوعاً ومنهجاً في القرن التاسع عشر. ومن أوائل المقارنين: راسموس راسك (1787-1852م) صاحب كتاب النحو الإسلندي القديم، ألمح فيه إلى قواعد المقارنة اللسانية التي يجب أن تراعي المعايير النحوية، والاستعانة بالكلمات الأصلية في اللغات المدروسة. وفرانس بواب (1791-

1857م) الذي أنجز عمله في فرنسا وكتابه بعنوان (عن نظام التصريف في اللغة السنسكريتية مقارنة بكل من اليونانية واللاتينية والفارسية والجرمانية). وجاكوب غريم (1785-1863م) صاحب كتاب النحو الألماني درس التغيرات الصوتية في اللغة الألمانية واللغات هندو أوروبية أخرى. وفرديريك شليجل: ففي كتابه (عن اللغة والمعرفة عند الهنود) يكتشف مصطلح النحو المقارن لأول مرة تأسيا بالأدب المقارن ويقدم تميزا فاصلا للغات المتصرفة وغير المتصرفة.

واللساني همبولدت(1767-1835م): الذي كان له فضل كبير في اكتشاف اللسانيات العامة، وكان يرى أن جميع اللغات البشرية جديرة بالدراسة والتحليل، كما عارض فكرة النحو الجامع وأن القواعد ينبغي أن تستنبط من حقائق كل لغة على حدةٍ، وذهب إلى أقصى حد ممكن فأكد أن اللغة ظاهرة دينامية متحركة ومتحولة (مبدأ التطور)، وترتبط قوة وضعفاً بالمجتمع نفسه. بل إنه تعمق في إبراز العلاقة بين اللغة والفكرة ووحدة الفكر والصوت[15]، وركز على وظيفة التواصل اللغوي ذي الطابع الاجتماعي.

وهو ما فتح الباب على مصراعيه أمام النحاة فيما بعد لدراسة اللغة بمناهج نوعية متعددة أثمرت تدريجياً عن ولادة "مفهوم البنيوية" التي شكلت قطعية نوعية مع آليات البحث اللغوي القديم، وأسست لحقبة جديدة من الدرس اللساني كماً وكيفاً.

دي سوسير والدراسات اللسانية :

لما كان القرن العشرون توج عالم اللغة السويسري دي سوسير كل هذه الجهود و الأفكار بوضع أسس علم اللسانيات العامة مع صدور كتابه "دروس في الألسنية العامة"سنة 1916م.[16]

ويعد فرديناند دي سوسير (ERDINAND DE SAUSSURE) (1857- 1913م) المؤسس الحقيقي لعلم اللسانيات العامة؛ فهو من بيّن حدودها ونظّر للأسس المنهجية في تناول النظام اللغوي ودراسة اللغة في ذاتها ولذاتها. وقد أجمل مختلف الجهود اللغويةي مقدمته منذ بدئها مع الهنود وحتى بلوغها مرحلة الكمال في أعمال اللغويين الغربيين في أطوار ثلاثة هي:[17]

الطور الأول: دراسة النحو القائم على المنطق وتمييز ما هو صحيح وغير صحيح من صيغ الكلام، وتمت هذه الدراسات في لغات بعينها سعياً إلى نتائج تقعيدية ضيقة، وقد امتدت هذه الفترة من اليونانيين حتى الفرنسيين.

الطور الثاني: علم فقه اللغة الذي يسعى أصحابه إلى دراسة المسائل اللغوية والمقارنة بين النصوص مع التمسك بالنصوص المكتوبة في كل من الحضارتين الإغريقية واللاتينية، ويمكن أن تندرج أعمال العرب المسلمين في هذا السياق مع وجود أفكار لسانية نوعية توازي الأطروحات الحديثة، ولاشك أن هذه الدراسات قد مهدت لظهور اللسانيات التاريخية لاحقا.

الطور الثالث: اتسم بطغيان الدراسات اللغوية التاريخية المقارنة خاصة في مجال النحو، وقد بلغت هذه الأعمال ذروتها خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مع اكتشاف اللسانيات المقارنة ووضع منهج دقيق يعالج كيفية إجراء أي دراسة لغوية مقارنة في سبيل البحث عن العلاقات الوراثية بين اللغات ومحاولة رسم اللغة الأصل أو المثال في ضوء خطوات علمية ومنهجية صارمة، ولا شك أن هذا العلم ذا الطبيعة التاريخية قد كان سبباً في نضوج الفكر اللساني لاحقاً وبلورة علم اللسانيات العامة مع فرديناند دي سوسير.

ولعل من المفيد أن نذكر هنا أهم المحددات التي تبين الاختلاف بين الدراسة اللسانية الحديثة والدراسة اللغوية القديمة، وهي كما أوردها جون ليونز (JOHN LYONS) كالآتي:[18]

1- اللسانيات تتصف بالاستقلالية وهذه أهم سمة فيها، فهي تدرس اللغة دراسة علمية في ذاتها ولذاتها، بخلاف النحو التقليدي وفقه اللغة الذي كان يرتبط بعوامل خارجية عن اللغة مثل الفلسفة والمنطق والدين.

2- تهتم اللسانيات باللغة المنطوقة قبل المكتوبة خلاف النحو التقليدي وفقه اللغة فقد كان اهتمامها منصباً على النص المكتوب.

3- عدم المفاضلة بين لغة فصحى ولهجة، فاللهجات لا تقل أهمية عن سواها في الدراسة اللغوية.

4- لا تميز اللسانيات بين لغات بدائية وأخرى متحضرة.

5- تسعى اللسانيات إلى بناء نظرية علمية عامة يمكن تطبيقها على جميع اللغات الإنسانية، بينما فقه اللغة كان محصوراً في لغة بعينها.

6- ميزت اللسانيات مجموعة من المستويات في دراسة اللغة مثل الصوت والصرف والنحو والمعجم والدلالة وغيرها، مع معاملة اللغة كبناء متكامل له نظامه الخاص وقيمه التمييزية داخل الوحدات أو العناصر المكونة له.

وقد تمكنت المدارس اللسانية بالاستناد إلى آراء سوسير من وضع أفكار جديدة أسهمت في تطوير جوانب الدرس اللغوي الحديث[19]، وهذا ما نراه جلياً في كون أي مدرسة تحاول بادئ ذي بدء أن تصيغ تعريفاً دقيقاً للغة، ثم تشرع في بناء جملة من البنى المفهومية شكلاً ومضموناً التي تؤدي بدورها إلى خلق منهج لساني مقبول يعتمد على جوهر هذه المدرسة نفسها.

فالمدرسة السوسيرية القائمة على مفهوم البنية والبنيوية أسست لملامح المنهج البنيوي والوصفي، بل إنها عملت على توصيف مجموعة من اللسانيات، مثل اللسانيات العامة في مقابل اللسانيات العلامية، ولسانيات اللغة في مقابل لسانيات اللفظ، واللسانيات الداخلية في مقابل اللسانيات الخارجية، واللسانيات الدياكرونية في مقابل اللسانيات السانكرونية وكذلك أسهب القول في اللسانيات الجغرافية واللسانيات الاسترجاعية.[20]

وهذا التنوع أثرى مستويات مختلفة من تطور الدرس اللساني، لأنه كان حصراً على اللغة في ذاتها ولذاتها، وخلص حقل اللغة مما لا ينتمي إليه، وساعد المدارس اللاحقة على رؤية اللغة في موقعها الحقيقي، وهو ما رأيناه مع أعلام المدرسة الوظيفية[21]الذين استطاعوا تقديم وحدات لغوية أسهمت في تشكيل نظرية متكاملة، ولكنها داخل جهاز اللغة ذاته أي ما أطلق عليه من قبل أندريه بـــ" ثنائية التقطيع "اللسانية، فاللغة – وفق المدرسة الوظيفية – هي: " أداة تواصل تحلل بواسطتها التجربة البشرية تحليلاً يختلف من مجموعة إلى أخرى عن طريق وحدات ذات دلالة وشكل صوتي هي اللفاظم (الوحدات الصرفية)، وتقطع هذه اللفاظم بدورها إلى وحدات مميزة متتالية هي الصواتم (الوحدات الصوتية)، وعددها محدود في كل لغة، كما أنها تختلف من لغة إلى أخرى من حيث طبيعتها وعلاقة بعضها ببعض".[22]

ولا ريب أن هذا المفهوم قد سهل من دراسة اللغة، وجعلها أكثر تطوراً في مجالات البحث العلمي ، ويمكن رؤية ميزات الدرس اللساني الوظيفي وفق آلية التقطيع الثنائي في النطاق الآتي:[23]

- ✓ الهدف الرئيس من اللغة تحقيق وظيفة التواصل، وجميع الحقول المصاحبة لهذا الفعل هو نوع من الانزياح والتحويل، ونقصد بذلك الوظائف الفنية والجمالية والبلاغية والأدبية وغيرها.
- ✓ يمكن للمتكلم أن يستعمل العلامة نفسها في سياقات خطابية متعددة ومتنوعة لأن العلامة اللغوية ليست مقيدة بتجربة واحدة، ولكنها مستقلة عنها، ويمكن أن تؤدي وظائف شتى حسب الحاجة.
- ✓ استعمال الوحدات اللغوية في نظام اللغة العام يخضع إلى نوعية الوظائف التي يريدها المتكلم في أداء الخطاب، فتخرج من حيز النظام المثالي إلى إطار الوظيفة التواصلية المراد تحقيقها واقعياً، وهذا يعمل على توسيع فضاء اللغة دلالياً عن طريق توليد علامات جديدة تلبي حاجات اجتماعية طارئة.

- ✓ إن ثنائية التقطيع تسمح لنا – في أي لغة بشرية – أن نتواصل بأقل مجهود لساني ممكن داخل شبكة اللغة نفسها، وهذا ينطبق على كل جوانب الرسالة اللغوية، أي أثناء بثها أو استقبالها، بمعنى أيضا أننا نستطيع أن ننتج من عشرات الوحدات الصوتية المحدودة العدد في كل لغة قائمة مفتوحة وغير محدودة من الوحدات الصرفية التي تستجيب لمقتضيات التواصل عينه.
- ✓ يؤكد أندريه مارتيني في الختام أن هذه الملكة ميزة لسانية خالصة في النظام اللغوي " المنطوق "، أي القائم على الأصوات المعبرة، مقارنة بمختلف الأنظمة الموازية لها، مثل لغة الإشارة والموسيقى والحيوانات وغيرها.

مدرسة تشومسكي التوليدية:

والمثال الآخر الذي يبين حجم القفزات النوعية في تطور الدرس اللساني فيتعلق بتلك القواعد التي بناها أفرام ناعوم تشومسكي[24] خلال أكثر من نصف قرن من العمل على نظام اللغة الصرف، وقد ركز الرجل على مسألتي التوليد والتحويل في البنى السطحية والعميقة، وكأنه بذلك أراد أن يحقق في الدرس اللساني جملة من المبادئ التي بدأت في الخمسينيات بالبنى التركيبية لتنتهي مؤخراً بالبنى الفكرية العميقة من خلال كتابه (اللغة ومشاكل المعرفة).[25] وأبرز الأفكار الرئيسة التي قامت عليها مدرسته هي:

- ✓ البحث عن جهاز لساني عام قادر على وصف اللسان البشري، ويصلح تطبيقيا في دراسة نحو كل لغة ناطقة.
- ✓ اللغة قادرة على إنشاء جمل غير متناهية العدد من خلال وحدات صوتية تمييزية دلالية محدودة ومقيدة.
- ✓ جعل تشومسكي للتركيب أولوية مطلقة على ما عداه من مستويات اللغة.
- ✓ ذهب صراحة في نمطه الثاني إلى أن للبنى التركيبية مستوى عميقاً خاصاً بها ومستقلا عن المستويات الصرفية الصوتمية والدلالية، وقد خالف بذلك النظرية اللسانية التوزيعية التي تركز على دراسة البنى الشكلية المنجزة من اللغة.
- ✓ أغرق الرجل تدريجياً في مجال التطبيقات على الدرس اللغوي، حتى بلغ مرحلة في غاية التعقيد، مضمنا جهوده جملة من الأسس المنطقية والرياضية والإعلامية، حتى أضحت قواعدها أشبه ما تكون بالعمليات الحسابية.
- ✓ وضع معيار " الناطق – السامع المثالي " في تمييز ما يصح من جمل النحو وما لا يصح منها، معتمداً على قوة ملكته في هذا المضمار، وأهمل المدونة ذات الطبيعة المحدودة جملاً وتراكيب.

نلاحظ أنه استند أيضاً إلى مفهومي الملكة والإنجاز اللذين يقتربان من مفهومي اللغة واللفظ لدى سوسير، وقد تطورت هذه المبادئ والمفاهيم لتصل حداً عميقاً من التجريد والتقصي ليقع في علم النفس اللغوي وعلاقة اللغة كنظام بالذهن كملكة، محاولاً أن يربط قدرات الأداء اللغوي بتطور الملكة الذهنية لدى المتكلم، ليصل من مقاربات لغوية حسابية إلى التأكيد على وجود ما سماه " بالموهبة البيولوجية " أو الذكاء الفطري القادر على استيعاب كل ما حوله من خبرات وتجارب وأنظمة وعلامات.

وهو بهذا القدر يخرج الدرس اللغوي من سياقه السوسيري ليقحمه مجدداً في فضاءات تجريدية "اللسانيات المعرفية الذهنية"، لا تقبلها اللسانيات العامة إلا ضمن ما سماه سوسير "باللسانيات الداخلية "[26]، ولعله أي سوسير كان يدرك صعوبة الدرس اللساني واستحالته، وهو يغرق فيما وراء اللسانيات التطبيقية، بل والتناقض أو الضيم الذي قد يلحق به، فاعتمد العلاقات الترابطية الذهنية في تفسير نشأة العلامة اللغوية [27]، وتوقف عما وراء ذلك.

الاتجاه التداولي في الدرس اللساني:

أما التطور الأخير فقد تمثل في العناية أكثر من ذي قبل باستعمال اللغة وأحوال الشخوص وعناصر العملية اللغوية وسياقاتها والأحوال المقامية.

فقد جاءت مرحلة جديدة في الدرس اللساني تجاوز فيها الدرس اللغوي اللسانيات البنيوية ومنحاها الشكلي وعدم عنايتها بأحوال التخاطب والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب واهتمامها الكبير باللغة كبناء مجرد ومنفصل عن كل الناصر النفسية والاجتماعية. (28)

كما تجاوزت تشومسكي وحديثه عن البنية السطحية والبنية العميقة والملكة والإنجاز فهذا هايمس ينتقد الملكة اللسانية عند تشوومسكي ويصفها بأنها وصفت اللغة بمعزل عن حالات استعمالها في الواقع الاجتماعي بحسب مقاصد الأفراد وحاجاتهم في أحوال التخاطب وتحدث عن الملكة التبليغية (التواصلية) وهي أهم مصطلحات لسانيات الخطاب. (29)

فالتداولية علم يهتم بالاستعمال العملي للغة. وهي تحاول الإحاطة بعديد من الأسئلة، من قبيل: من يتكلم وإلى من يتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ ما هو مصدر التشويش والايضاح؟ كيف نتكلم بشيء، ونريد قول شيء آخر؟ وقد عرفها تشارلز موريس Cb. Morris بأنها جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات، ومستعملي هذه العلامات.(30)وإليه يعود الفضل في إدراج مصطلح التداولية Pragmatique في الدراسات اللسانية، وإن لم يتجاوز تمديد أهدافها الوصفية.

وقد تجاوزت دراسة الإنتاج اللغوي البنية الصوتية والنحوية والدلالية إلى البحث في الآثار الاجتماعية والإنجازية للغة. فهي تحاول تحديد الشروط والقواعد الملائمة بين أفعال القول و مقتضيات المواقف الخاصة به. (31)

وأبرز ما اشتهرت به التداولية نظرية الفعل الكلامي التي تنص على ان المتكلم حين يقول فإنه يفعل وينجز، وأن اللغة ليست مجرد أقوال، بل هي تأثير وأفعال. ومتضمنات القول الذي يتمثل بأمرين، أحدهما الافتراض المسبق وهو الافتراضات الخلفية المتفق عليها بين المتحاورين أو الأفراد في الدائرة التواصلية، والآخر الأقوال المضمرة المتعلقة بخصوصيات الموقف وملابسات الخطاب. والاستلزام التخاطبي الحواري: وفيه يظهر أن بعض الجمل لها معنيان، أولهما حرفي، والثاني مستلزم يفهم من الموقف مقام التواصل. وقد اقترح غرايس نظرية المحادثة المحكومة بمبدأ التعاون ومسلمات الحوار: الكم والكيف والمناسبة والأسلوب.

وقد انحدرت التداولية من الفلسفة التحليلية التي نشأت في العقد الثاني من القرن العشرين في فيينا بالنمسا على يد الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجه، وكانت دروسه في الجامعة الألمانية موردا لطلاب الفلسفة والمنطق من مختلف الأصقاع الأوروبية. ويذهب دارسون آخرون إلى أن الفلسفة التحليلية لم تنشأ إلا مع فلاسفة المدرسة الإنجليزية الحديثة، من أمثال: جورج مور، برتراندرسل، فتجنشتاين، ثم كارناب، في أواسط القرن العشرين. وقد انقسمت الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة فروع واتجاهات كبرى، هي:

- الوضعانية المنطقية بزعامة رودولف كارناب.
- الظاهراتية اللغوية بزعامة هوسرل.
- فلسفة اللغة العادية بزعامة فتجنشتاين فمنه نشأت نظرية الأفعال الكلامية. (32)

وننقل هنا هذا التصريح للعالم اللساني باتريك شارد دو Patrick Charaudeau -يعبر عن سيرورة اللسانيات الغربية في القرن العشرين- حين سئل عن القضايا التي شغلته أثناء رحلته العلمية الطويلة، فقال: أعدت النظر في نحوي أربع أو خمس مرات، فحينما جاءت الغيومية –نسبة إلى غوستاف غيوم- أعدنا النظر في النحو من جهة النظر الغيومية، وجاءت البنيوية

فاعتمدنا وجهة النظر البنيوية، وكذلك الشأن حين جاءت التفريعية كذلك، بعد هذا انتقلنا إلى السياق الكلامي ثم إلى سياق الحال. (33)

مما سبق يمكننا قول الآتي:

- هناك جدليتان وسمتا مسيرة الدرس اللساني:

الأولى: سانكرونية لأنها ترتبط بالجانب اللغوي في لحظة محددة من تاريخ اللغة، فنجد أن الهنود قدموا إسهاماتهم في زمنهم، وهم يعالجون إعادة تشكيل اللغة المقدسة، ولكن جهودهم هذه صارت جزءا لا يتجزأ من النسق اللساني العام لتطور البحث في لغات البشر، فأثروا فيمن جاء بعدهم، وهذا ينطبق على أعمال الفرس والإغريق والرومان والمسلمين والغربيين حتى عصرنا الحديث الذي شهد ميلاد علم اللسانيات العام إثر اكتشاف علم اللسانيات المقارن.

والأخرى: دياكرونية لأنها تتصل اتصالاً وثيقاً بالبعد التطوري للظواهر اللسانية، وتختزل في طياتها تراكما كبيراً من الإنجازات اللسانية التي اختلط فيها اللغوي بغايات خارجة عنه، فكان مع الهنود ذا طابع مقدس ينحصر في لغتهم خاصة، وتطور مع اليونان ليمتزج بعلوم المنطق والفلسفة، ولكنه بدأ يلامس الأسئلة الكبرى التي تمس حياة اللسان البشري نشأة وتطوراً، ثم جاء اللاتين ليصيغوا اللغة ضمن قواعد نحوية موسوعية، مما مهد تدريجيا لزيادة عمليات الإتقان في صناعة المعاجم مع وضع الشروحات التخصصية التي أنارت للمسلمين زوايا عديدة في النحو اليوناني القديم، ومكنتهم من القفز بالدرس اللغوي إلى مستويات شبه تخصصية. وهي وإن بقيت رهينة العقيدة والأهداف الدينية وخدمة العربية لكنها منحت الدرس اللغوي دفعة نوعية تمثلت في نظرية العامل النحوي(34)ونظرية النظم البلاغية(35)، وربطوا بإحكام بين مختلف الظواهر الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية والدلالية، وأفادوا من النظرية الإنشائية اليونانية في بلورة أسس جديدة مازالت صالحة في هذا المجال حتى يومنا الحاضر، بل إنها تتطابق في كثير من مناحيها مع جهود علماء اللسانيات المعاصرين الذين اختزلوا أعمال القدماء ومن تبعهم في ميادين النحو وفقه اللغة والدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة بإرساء دعائم علم اللسانيات العام الحديث.(36)

- نلاحظ إذاً أن جدلية الثابت والمتحول في تطور الدرس اللغوي هي جدلية تساوقية ترابطية، لا يمكن الفصل بينهما بحكم تلازم البعدين الآني والزماني، ولا يتحقق أحدهما إلا بوجود الآخر، فالدرس الآني الثابت هو في مجموعه تاريخياً يمثل الدرس الزمني المتغير، ولكننا وجدنا هذين البعدين يتلونان من عصر إلى آخر، مما ساعد هذا الأمر في تطوير الدرس اللساني كماً وكيفاً. فظهرت مدارس أسست لأفكار متقدمة ومناهج لغوية فاعلة كان من شأنها الانتقال من مرحلة المحلية الصرفة إلى مرحلة العالمية، أي البحث عن قوانين اللغة العامة ممثلة في أعمال رومان جاكبسون وتشومسكي(37)في المدارس الحديثة، سعياً إلى وضع معايير وقواعد مشتركة بين جميع لغات البشر بحكم فرضية انتمائها إلى أصل واحد في اللسانيات التاريخية، فراجت بعض الدراسات الحديثة تحت مسميات مثل "النحو العام" و "القواعد اللغوية المشتركة"، وكلها تصب في الغاية ذاتها، وتبرهن على مدى التحولات التي رافقت الدرس اللساني العام.

- ارتبط الثابت والمتحول في الدرس اللغوي القديم بحدود اللسانيات الخارجية، وكان هناك رابط مشترك بين جميع الاتجاهات في هذه المرحلة، وهو اكتشاف قوانين النحو الصرف والمعجم والدلالة في نطاق لغة كل قوم، ولكننا وجدنا الإغريق والعرب أكثر تحرراً من هذه النظرة بحكم شمولية الرؤية اللسانية القائمة على أهداف مفتوحة، وهذا ساعد الغرب كثيراً في بناء جهاز لغوي متين يقوم على مبادئ النظام والبنية والقيمة والعلاقة والعناصر الذاتية في اللغة عينها، أي إن الدرس اللغوي الحديث للقرن العشرين التزم بحدود اللسانيات الداخلية، واجتهد في إيجاد مدونة لسانية متكاملة تربط جميع

عناصرها بعضها ببعض، فاللسانيات الداخلية ما كان لها أن تبلغ هذا الشأن في كشف قوانين اللغة إلا بفضل ما قدمته اللسانيات الخارجية خاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وهو نضوج طبيعي وتدريجي وصل ذروته مع بحوث البنيويين على اختلاف رؤاهم التأسيسية والتعاقبية.

- إن الطفرة التي نقلت الدرس اللغوي خطوات متقدمة كانت مع تحول الاهتمام اللساني من دراسة نصوص اللغة المكتوبة إلى دراسة اللغة المنطوقة نفسها ، أي ملامسة جوهر النظام الأساس وهو الصوت، وهذا جعل اللسانيات لاحقاً تتطور بشكل متسارع ، بل إن دراسة العلاقة الذهنية للصوت في تكوين العلامة اللغوية (المدلول)[38] كان بمثابة المبرر للمدرسة التوليدية التحويلية كي تنقب في فضاء الذهن عما يجعل الناطق المثالي قادراً على فهم الأنظمة الدلالية والعلامية في كل صورها، وهذا أدى إلى إغراقها في بنية العقل المعرفية العميقة إلى درجة الخروج مجدداً عن حدود الدرس اللغوي والوقوع في نوع جديد من اللسانيات هي البحث عما وراء اللغة واقتراح الموهبة البيولوجية[39]في ذهن الناطق ضمن مصفوفة حسابية – لغوية في غاية التعقيد، ولكنها تفسر في خاتمة المطاف لماذا يستطيع عقل الإنسان التكيف والفهم مع أي نظام دلالي بياني في الحياة.

- والجديد على الدراسة اللغوية في منتصف القرن العشرين الاهتمام بالمواضيع التجريدية الفلسفية والمنطقية واستوعبت مسائلة علاقة اللغة بالإنسان، فأصبحت تعنى اللغة في ذاتها، ومن حيث هي وليد الفكر. مسعود

- نلاحظ أيضاً أن التطور في الرؤى اللسانية قديماً وحديثاً جعل النحويين يتنقلون من بنية الكلمة إلى بنية الجملة ثم بنية النص، ولعل الدراسات الحديثة أصبحت أكثر التصاقاً بمفهوم النص والخطاب والسياق وما يعمل على تشكيلها من عوامل مقامية مختلفة، وهذا دفع المدرسة النصانية[40]إلى طرح جملة من القواعد التي تؤثر في صناعة النص، وأصبح النص – مهما طال أو قصر – البنية المعيارية في الدرس والتحليل.

- لا شك أن الدائرة التواصلية التي اقترحها سوسير في دراسة ثنائية الدال والمدلول قد أثرت عميقاً في اجتهادات جميع أعلام المدارس المتعاقبة، حتى وصلت هذه الدائرة ذروتها في بيان علم الأصوات المادي والوظيفي، ثم في تقسيم الصوت المادي إلى مراحل ثلاث[41]: أي علم الأصوات النطقي والفيزيائي والسمعي في ضوء توسع مفهوم الدائرة اللسانية التواصلية مع الوظيفيين والتداوليين والنصانيين، لتصبح حلقة محكمة بين الباث والمتلقي والسياق النص والرمز والشفرة والرسالة وغيرها من العوامل المؤثرة في نقل المضمون اللغوي من طرف إلى آخر.

وهذا يؤكد جلياً أن الدرس اللغوي سيبقى يتطور آنياً وزمانياً بصفة حثيثة، مما يمهد جدياً لبلوغ مرحلة قصوى من نضوج الرؤية اللسانية، ولكن في نطاق التراكم المعرفي بين المدارس[42]، ويحق لنا أن نتساءل في هذا المستوى عن حدود هذا التطور وإلام سيؤدي مستقبلاً؟!

إذ نعتقد أن هذا التطور في شكله ومضمونه قد يصب في خدمة هدف قديم: وهو الكشف اللساني عن القوانين الأولى التي أسهمت في بناء لغة البشر الأصل. والأهم أنه يفسر كثيراً من حقول الدرس اللساني وتنوعها إلى درجة الإغراق في البعد النظامي النفسي - الذهني[43]بحثا عن أعمق تجربة لغوية في عقل الإنسان الناطق، وهذا سيفتح المجال قريباً- في تصورنا- لتفكك علم اللسانيات العامة إلى جملة من العلوم الجديدة التي تسمح بالبحث والكشف في فضاء لغوي يتناسب فعلياً مع المخرجات العلمية المتسارعة في مختلف حقول التكنولوجيا المتبدلة والمتجددة.

هوامش البحث:

1) تعتبر أفكار هذا اللساني نقطة تحول في مفهوم الدرس اللساني، وكانت دراساته الأولى في ميدان الدراسات الفيلولوجية (فقه اللغة) قبل أن يبلور مفهومه الجديد في المحاضرات التي نشرها طلابه بعد وفاته سنة (1916)، وكان المصدر الأول لبدء اللسانيات الحديثة في أوروبا، أما كتاب العالم الأنثروبولوجي الأمريكي فرانز بوعز (FRANZ BOAS) الموسوم بـــ "المدخل للغات الهندية الأوروبية" سنة (1911م) فقد كان له أثر كبير في توجيه الدرس اللساني بمفهومه الجديد في أمريكا خاصة لدى إدوارد سابير.

✓ ينظر :

DICTIONARY OF MODERN LINGUISTICS , SAMI HANNA (AND OTHERS) , LIBRAIRIE DU LIBAN PUBLISHERS , 1ST ED., 1997 , P (19-23) .

2) SEE : THE DICTIONARY OF HISTORICAL AND COMPARATIVE LINGUISTICS, TrASK, EDINBURGH UNIVERSITY PRESS, U.K , 2000 ,P(296).

3) الراجحي، عبده، فقه اللغة، دار النهضة العربية – بيروت ، 1972م، ص (9-12).

4) أوزوالد دوكرو وجون – ماري شافار، المعجم الموسوعي الجديد في علوم اللغة، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010م، ص (93-99).

5) السعران، محمود، علم اللغة ، دار النهضة العربية بيروت ،(د.ت) ، ص (319- 322).

6) نفسه، ص (323).

7) للتوسع في التفكير اللغوي عند العرب، ينظر: كتاب أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، (الفصل الثاني والثالث). وكتاب كمال محمد بشر: دراسات في علم اللغة، دار المعارف بمصر، ط9، 1986م، ص (16-35).

8) أحمد محمد قدور، دار الفكر المعاصر، اللسانيات وآفاق الدرس النحوي. وينظر أيضاً: المعاجم اللغوية المعاصرة، حميد العواضي، مؤسسة العفيف الثقافية – صنعاء، ط1، 1999م، ص (33).

9) سميح أبو مغلي، فصول ومقالات لغوية، دار صفاء– عمان ، ط1، 2002م، ص (101).

وينظر تفاصيل في: من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً ، محمد رشاد الحمزاوي ، دار الغرب الإسلامي – تونس، ط1، 1986م، ص (115-136).

10)عبد القادر المهيري (وآخرون)، النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي من خلال النصوص، الدار التونسية للنشر ، تونس، ط1، 1988م، ص (7-54).

وينظر كذلك: المدارس النحوية، امتثال الطيب عبد الرحمن، مكتبة الرشيد – الرياض، ط1، 2008م، ص(35-70).

11)كلاوس هيشن، القضايا الأساسية في علم اللغة، ترجمة، سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار- القاهرة، ط/1، 2003، ص (7-16). وينظر كذلك: المعجم الموسوعي الجديد، ص (17-18).

12)عبده الراجحي، فقه اللغة، ص (13-37).

13) SEE : THE DICTIONARY OF HISTORICAL AND COMPARATIVE LINGUISTICS , TRASK , P (162).

وينظر للتوسع: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات ، دار الفكر المعاصر – دمشق ، ط1، 1996م، ص (13-17).

14) VOIR : LINGUISTIQUE ET SCIENCES DU LANGAGE , JEAN DUBOIS (ET AUTRES), LAROUSSE , PARIS , 2007 , P (235).

15) SEE : COURSE IN GENERAL LINGUISTICS, FERDINAND DE SAUSSURE , TRANSLATED BY WADE BASKIN , MCGRAW – HILL BOOK
COMPANY , NEWYORK , 1966, P (1-5).

وينظر: بوقرة، نعمان، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث،ط1 ص59.

16)معلوم أن كتاب سوسير " دروس في الألسنية العامة" هو عبارة عن المحاضرات التي كان يمليها على طلابه، وأن اثنين منهم (بالي وسيشهي) هما من جمعها وطبع الكتاب بعد وفاته بثلاث سنوات.

17)جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة:حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر ، 1985م، ص (39-42).

18)محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد – بيروت، ط1، 2004م، ص (10).

19)انظر تفاصيل هذه اللسانيات في مقال: " أمهات نظريات فاردينان دي سوسير"، لصالح القرمادي، ضمن كتاب " دروس في الألسنية العامة"، تعريب/ صالح القرمادي (وآخرون)، الدار العربية للكتاب – تونس، 1985م، ص(349-366).

20)وللتوسع ينظر: رونالد أيلوار، مدخل إلى اللسانيات، ترجمة: بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق – سوريا، 1980م، ص(76-84).

21)عبد القادر المهيري (وآخرون)، أهم المدارس اللسانية، المعهد القومي لعلوم التربية – تونس، 1986م، ص(41).

22) VOIR: LES GRANDES THEORIES DE LA LINGUISTIQUE, MARIE – ANNE PAVEAU ET GEORGES – ELIA SARFATI, ARMAND COLIN, PARIS, 2008, P(130-133).

23)محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء – القاهرة، 2004م، ص (119-127).

24) SEE: LANGUAGE AND PROBLEMS OF KNOWLEDGE, CHOMSKY, THE MIT PRESS, ENGLAND, 11TH ED, 2001, P(133-170).

25)انظر للتوسع: عبد القادر المهيري (وآخرون)، أهم المدارس اللسانية، ص (75-91).

26) VOIR: COURS DE LINGUISTIQUE GENERALE, FERDINAND DE SAUSSURE, PAYOT, PARIS, 2005, P(40-43).

27)السابق، ص (173-175).

28)صحراوي، مسعود، بحثه في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، كتاب التداوليات علم استعمال اللغة لمجموعة باحثين، إعداد : د. حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1 ، 2011م. ص26).

29)نعمان، بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004م. ص166. وعلوي، عبد السلام، بحثه ما التداوليات، كتاب التداوليات علم استعمال اللغة لمجموعة باحثين، إعداد : د.حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1 ، 2011م. ص19.

30)عبد الحليم بن عيسى، المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، ص14، 15.

31)- صحراوي، مسعود، بحثه في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، كتاب التداوليات ص36، 33

عبد القادر المهيري، نظرات في التراث اللغوي العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م، القسم الموسوم بـــ " الجملة في نظر النحاة العرب" من ص (31) إلى (41)، ويتطرق فيه إلى نظرية العامل النحوي.

32)حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات كلية الآداب – منوبة، تونس، ط2، 1994م، القسم الموسوم بـــ" نظرية النظم عند الجرجاني" ص (490-529). وأكد في الصفحة الأخيرة أن عبد القاهر قد رد إعجاز النص القرآني إلى أسلوب نظمه وطريقة بنائه.

33)عالج اللساني عبد السلام المسدي في كتابه: (التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1986م) أهم حقول اللسانيات المعاصرة، وبين بجلاء خصوصية ما قدمه العرب في هذا العلم. ينظر تفاصيل هذا في الفصول الآتية: 1- الإنسان واللغة. 2- المواضعة. 3- مقومات الكلام.

34)حسام البهنساوي، نظرية النحو الكلي، مكتبة الثقافة – القاهرة، ط1، 2004م، ص (5-9).

35) COURS DE LINGUISTIQUE GENERALE, …P(28)

36) LANGUAGE AND PROBLEMS OF KNOWLEDGE, CHOMSKY, P(161).

37)سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، مؤسسة المختار – القاهرة، ط1، 2004م، ص (93 وما يليها) وهو فصل مهم بعنوان " تعريفات النص".

38) SEE: A DICTIONARY OF LINGUISTICS AND PHONETICS, DAVID CRYSTAL, BLACKWELL, U.K, 4TH ED, 1997, P(289).

39) THE CAMBRIDGE ENCYCLOPEDIA OF LANGUAGE, DAVID CRYSTAL, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, UK, 2ND ED, 2001, P(418)

40) SEE: LINGUISTIQUE COGNITIVE, NICOLE DELBECQUE, DE BOECK UNIVERSITE- DUCULOT, BRUXELLES, 2EME ED, 2010 P(17).

انظر: الفصل الأول، وعنوانه: " اللغة والفكر"، ويعرف اللغة في بدء الصفحة نفسها بأنها " نظام من التواصل، وتعتمد على العلامات مثل أي نظام تواصلي".